فصلٌ
في ذِكر لُوط عليه السَّلام[١]

قال مقاتل: ذُكِر لُوط في سبعة عشر موضعاً من القرآن العزيز.

ولوط اسم أعجمي وكذلك نوح، وقد ذكرناه.

ولوط هو ابن هاران بن آزر، وقد ذكرنا أنه ابن أخي إبراهيم، وكانت الروم قد أسرت لوطاً فغزاهم إبراهيم حتى استنقذه منهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[هود: ٦٩] وكان هلاك قومه في أيام الخليل عليه السلام، وكان ينبغي أن يذكر في سيرة إبراهيم، وإنما جعلنا له باباً مفرداً.

قال علماء التأويل: «البشرى»: هي البشارة، وكانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل: كانوا تسعة مع هؤلاء المذكورين، وكانت البشارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وبإهلاك قوم لوط لما نذكر.

وذكر ابن إسحاق القصة فقال: كان لوط قد هاجر مع الخليل إلى الشام، واختتن لوط مع إبراهيم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فنزل إبراهيم فلسطين، ونزل لوط الأُردُنَّ. فأرسل الله لوطاً إلى أهل سَدُوم، وكانت عدة قرى: سَدُوم، وعَامُورا، وصبرانة، وصَفراء، ودوما، وصابورا، وداذُوما وصبواس[٢] وصبعة وصعرة[٣].

وقال مقاتل: وبلادهم ما بين الشام والحجاز بناحية زُغَر[٤]. قال: وكانت اثنتي عشرة قرية، وتسمَّى المُؤْتَفِكات، من الإفْك، وكان في كلِّ قرية مئة ألف، وكانوا

---

(١) انظر قصته في: «تاريخ الطبري» ١/ ٢٩٢، وتفسيره ١٢/ ٥٤٧، و«البدء والتاريخ» ٣/ ٥٦، و«عرائس المجالس» ص ١٠٥، وتاريخ دمشق ٦٠/ ٢٦، و«المنتظم» ١/ ٢٨٢، وزاد المسير ٣/ ٢٢٧ و٤/ ١٣٥، والتبصرة ١/ ١٥٠، و«الكامل» ١/ ١١٨، و«البداية والنهاية» ١/ ٤٠٨.

(٢) كذا هي في النسخ الخطية، وجاء في «معجم البلدان» ٣/ ٣٩٢: «صبوائيم» وهي إحدى قرى قوم لوط.

(٣) جاء في النسخ الخطية: «ضبعة وضعوة»، وما أثبتناه من «الروض المعطار» ص ٣٠٨، وانظر تاريخ الطبري ١/ ٣٠٧، وتاريخ دمشق ٦٠/ ٢٩.

(٤) انظر تفسير البغوي ٣/ ٧٠ (بهامش الخازن).

يعبدون الأوثان، ويأتون الفواحش، ويسافد بعضهم بعضاً على الطرق والمجامع، وكانوا أهل كروم وبساتين، قال: وسبب إتيانهم الفاحشة أن إبليس تصوَّر لهم في صورة غلامٍ أمرد من أحسن الغلمان، فجاء إليهم وكانت بلادهم أخصبَ البلاد، وكان الأُرْدُنُّ ـ وهو النهر الخارج من بحيرة طبرية ـ يقطع الغَوْر ويصل إليهم، وكانت منازلهم زُغَر قبل أن تكون البحيرة المنتنة، وكانت الكروم موضع البحيرة، والنخل محدقٌ بها، ولم يكن لهم حيطان وكان بعضهم يأكل فاكهة بعض، فزجر بعضهم بعضاً فما انزجروا، فقال لهم إبليس: ألا تمنعون كرومَكم من السُّراق؟ قالوا: قد اجتهدنا فلم نقدرْ على ذلك، فقال: أنا أعرِّفكم طريقاً ينزجرون بها، ثم أمْكَنهم من نفسه وقال: كل من أكل من كرومِكُم فاصنعوا به كذا. وإبليس أوَّل من فُعِل به هذا الفعل في الدنيا[1].

وقال ابن عباس: وكان الله تعالى قد أمر الملائكة الذين أرسلهم لعذاب قوم لوط أن يجعلوا طريقهم على إبراهيم عليه السلام، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ فلما دخلوا عليه ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سلموا عليه سلاماً ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[هود: ٦٩] وهو المشوي بالحجارة المحماة ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر وظنهم لصوصاً، لأنه كان إذا نزل به ضيف ولم يأكل من طعامه ظن أنه قد جاء بشرّ فلهذا قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ فنحن ملائكة ﴿أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[هود: ٧٠] بالعذاب ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾[هود: ٧١] قال قتادة: كانت واقفةً من وراء الستر تخدم الأضياف وتسمع ما يجري بينهم وبين إبراهيم.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قال مجاهد: إنما ضحكت تعجباً من الملائكة، قالت: ما رأيت مثل هؤلاء نخدمهم بنفوسنا ولا يأكلون طعامنا.

وقال ابن عباس: معناه حاضت، وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه: وامرأته قائمة فبشَّرناها بإسحاق فحاضت، والعرب تقول: ضحكت الأرنب إذا حاضت، قال الشاعر: [من المتقارب]

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥.

وضِحْكُ الأرانبِ فوقَ الصَّفا كمثلِ دمِ الجوفِ يومَ اللِّقا

وهذا أصحُّ، لأنه أمارة على وجود الولد، والذي بشَّرها جبريل، قال: أيتها الضاحكة أبشري.

وقال الحسن: لما قدَّم إليهم الطعام امتنعوا فقال: ألا تأكلون قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمنه قال: إنَّ له ثمناً، قالوا: وما هو؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره. فنظر جبريل إلى من معه وقال: حُق لهذا أن يتخذه الله خليلاً.

فلمَّا بشَّروها: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ قال ابن إسحاق: كانت بنت تسعين سنة، وقال مجاهد: بنت تسع وتسعين ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾[هود: ٧٢] لأنه كان ابن عشرين ومائة سنة، فقالت لها الملائكة: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: من صنعه ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[هود: ٧٣] ويدخل في هذا رسول الله ﷺ وأهل بيته. ثمَّ قالت سارَة: وما آية ذلك؟ فأخذ جبريل بيده عوداً يابساً فاهتزَّ في الحال أخضر.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ أي: الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾[هود: ٧٤] أي: يجادل رسلنا، قال ابن عباس: قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] فقال لهم إبراهيم: أرأيتم إن كان فيها أربع مئة من المسلمين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فمئتان، قالوا: لا، قال: وإن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: إنَّ فيها لوطاً، قالوا: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[العنكبوت: ٣٢] أي: الهالكين، فسكن واطمأنت نفسه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ أي: حزن لمجيئهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ هذا مثل لمن لم يجد من المكروه مخلصاً ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[هود: ٧٧] أي: شديد، ومنه عصابة الرَّأس، وإنما حزن لوط لأنه لم يعلم أنهم رسل الله، وخاف عليهم من قومه إتيان الفاحشة، ولم يخف على قومه لأنه كان قد سأل الله هلاكهم.

وقال السُّدي: خرجت الملائكة فأتوا لوطاً وقت القائلة وهو في أرض له يعمل، وقد أمرهم الله أن لا يهلكوا قومه حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فاستضافوه فانطلق معهم يمشي إلى بيته.

واختلفوا في قوله: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:٧٨] والظاهر أنها الفاحشة المشهورة. الثاني: أنه الرمي بالبندق. والثالث: مضغ العلك.

وقال ابن عباس: الفواحش التي كانوا يعملونها: اللواط، والوشم، والرمي بالبندق، ومضغ العلك، والبصاق في الماء، وفي وجوه بعضهم لبعض، والضُّراط بالفم، واللعب بالحمام، والنرد، والشطرنج، والتنابز بالألقاب، واستغناء النساء بالنساء.

وقال السُّدي: فقال لوط للأضياف وهو يمشي معهم إلى بيته: أما بلغكم أمر أهل هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قريةٍ في الأرض عملاً، قال ذلك أربع مرَّات، فدخلوا معه منزله، ولم يعلم بهم إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته ـ واسمها واغلة ـ فأخبرت قومها وقالت: إن عند لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط، وقيل: إنها كانت تدخِّن، وهي العلامة بينها وبينهم ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون ويهرولون ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:٧٨] أي: من قبل مجيء الرسل إلى لوط.

وقال الربيع: أوَّل من رأى الملائكة ابنتا لوط، واسم الكبرى ريثا وقيل: رية، واسم الصغرى: زعورا، وقيل: عروبة. فقال جبريل للكبرى: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم مكانَكُم حتى آتيكم، لا تدخلوا القرية فإني أخاف عليكم أهلها. ثم جاءت أباها فقالت: أَدْرِكْ فتياناً على باب القرية ما رأيت أحسن وجوهاً منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحونهم. فخرج إليهم فأتى بهم منزله، وعلم قومه فجاؤوا مسرعين، فأخذ يتلطفهم ويقول: اتقوا الله ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[هود:٧٨] يعني بالنكاح، وهنَّ محل الحرث لا الفرث.

واختلفوا في بناته على قولين: أحدهما: أنه أراد بنات نفسه. والثاني: بنات القبيلة.

فإن قيل: فكيف قال: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ وكن كفاراً؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد بنات صلبه، فيسقط السؤال. والثاني: بناتي على شرط الإسلام. والثالث: أنه كان فيهم سيّدان معظَّمان، فأراد أن يزوِّجهما ابنتيه ويجوز تزويجه بنات الأنبياء من الكفار، فقد زوَّج النبيُّ ﷺ ابنتيه: زينب من أبي العاص ابن الربيع، ورقيَّة من عتبة بن أبي لهب، وكانا كافرين.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ أي: تهينوني وتذلُّوني ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾[هود: ٧٨] أي: صالح سديد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ أي: منعة وعشيرة يمنعوني ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[هود: ٨٠] أي: وثيق. وقد ذكرنا أنَّ النبي ﷺ قال: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، أي: الله تعالى. ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ أي: رغبة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[هود: ٧٩] من إتيان الرجال. وأخذوا يعالجون الباب ليكسروه، ولوط يناشدهم الله تعالى. فقالت الملائكة حينئذٍ: يا لوط، إنَّ ركنك لشديد ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾[هود: ٧٦] و﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾[هود: ٨١] فافتح الباب ودعنا وإيَّاهم، ففتح ودخلوا. ثم استأذن جبريل ربَّه في عقوبتهم فأذن له الله فقام في صورته التي خلقه الله عز وجل عليها، ونشر جناحه، وعليه وشاح من درٍّ منظوم، وهو برَّاق الثنايا مشرق الجبين، [ورأسه] حُبك حُبك ـ الحبك: الطرائق ـ [مثل] المرجان كأنَّه الثلج وقدماه إلى الخضرة، فضرب بجناحيه وجوههم فطمسها وأعمى عيونهم فصاروا لا يهتدون إلى بيوتهم، فهربوا وهم يقولون: النجاءَ النجاءَ، فإنَّ في بيت لوط أسحر قوم في الأرض، وجعلوا يتواعدونه ويقولون: كما أنت يا لوط حتى نصبح.

ثم قال لوط للملائكة: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبحُ، قال: أريد أسرع من ذلك لو أهلكتموهم الآن، قالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾[هود: ٨١] ثم قالت الملائكة: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: بطائفة منه ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ فإنها تلتفت فتهلك. فخرج لوط ومعه أهله وامرأته ونهاهم أن يلتفتوا، إلَّا امرأته فإنه ما نهاها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾[هود: ٨٢]، قال ابن عباس: أدخل جبريل جناحه تحت قراهم ورفعها حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم، ثم قلبها، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم: ٥].

وقال جدي في «التبصرة»: كانت خمس قرى، أعظمها سَدُوم، في كل قرية مئة ألف، وكان الطير لا يدري أين يذهب، ثم أمطر الله على مسافريهم ومن غاب منهم ﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾[1] وسجين ـ لغتان ـ وهي التي بعضها طين وبعضها حجر، ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي: على كل حجر اسم صاحبه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾[هود: ٨٣]

(١) «التبصرة» ١/ ١٥٢ـ١٥٣.

وقال ابن عباس: ما من ظالم إلا وهو يخاف أن يسقط عليه حجر من ساعة إلى ساعة. وقال مجاهد: لم ينكسرْ عند رفعهم إناء، ولم يُرَقْ عند ذلك ماء. ثم تبع جبريل رعاتهم فقتلهم. وقال مقاتل: كانت الحجارة التي رُموا بها سوداً منقَّطة ببياض مثل رؤوس الإبل[١] على كل واحد اسم صاحبه.

وقال ابن عباس: سمعتْ امرأته الهدَّة فالتفتت، فرأت العذاب، فقالت: واقوماه! فأصابها حجر فقتلها.

وروى السُّدي عن أشياخه قال: لما أهلك الله قوم لوط لحق لوط بإبراهيم، فلم يزل معه حتى توفي[٢].

وحكى أبو القاسم ابن عساكر عن علي بن الجارود قال: مررت أنا وصاحب لي بمدائن قوم لوط عشيَّة عرفة، وإذا برجل كوسج أشعث أغبر على جمل أحمر، فسألَنا عن حالنا، فأخبرناه وقلنا: من أنت؟ فتغافل، فقلنا: لعلك إبليس، قال: نعم، قلنا: يا ملعون من أين جئت؟ قال: من عرفة رأيت من أذنب خمسين سنة، فقلت: اليوم أشفي صدري منه، فنزلت عليه الرحمة، فشققت ثيابي ووضعت التراب على رأسي، وجئت إلى ها هنا أنظر إلى قوم لوط لعلَّ يسكن ما بي[٣].

وقلب الله حبوبهم[٤] حجارة وأثرها عند سَدُوم إلى الآن، وصيَّر بساتينهم بحيرة زُغَر، فجعلها منتنة لا يعيش فيها حيوان، لا من السمك ولا من غيره.

ويقال: إن في وسطها مكاناً مثل البالوعة يذهب فيه الماء لا يُدْرَى أين يذهب.

ويقال: إنه يذهب إلى اليمن. ويظهر من هذه البحيرة حجر مثل البطيخة ذو شكلين يعرف بالحجر اليهودي ينفع لمن به وجع الحصى في المثانة، وهو نوعان: ذكر وأنثى، فالذكر للذكر والأنثى للأنثى، ويخرج منها أيضاً شيء على هيئة الحيوان يقال له:

---

(١) في (ب): «الإبر»

(٢) انظر في تفصيل هذه القصة بطولها: تفسير الطبري ١٥/ ٣٨١ فما بعدها، وزاد المسير ٤/ ١٢٧ فما بعدها، وغيرهما من كتب التفسير ومن المصادر التي أحلنا عليها أول القصة.

(٣) تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٨.

(٤) في (ب): «وجوههم».

الحمر تُطْلَى به الكروم فتخصب وتحمل.

فصل في وفاة لوط عليه السلام

قال علماء السير: مات لوط قبل الخليل بمدة سنين، وعاش ثمانين سنة[١]، ولم يكن إبراهيم اشترى المغارة فدفن على جانب البحيرة في قرية من أعمال الخليل يقال لها: بريكوت، وقبره ظاهر بها.

وقال مقاتل: أقام لوط في سَدوم بضعاً وعشرين سنة.

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَلعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قَومِ لُوطٍ»[٢].

وحدثنا عمر بن محمد بن معمر الدَّارَقَزِّي بإسناده عن ابن المسيَّب عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من عَمِلَ من أُمتِي عمَلَ قومِ لوطٍ أو ماتَ وهو يَعمَلُ عَمَلَهم نَقَله الله حتى يُحشَر معَهم»[٣].

(١) انظر «أعمار الأعيان» ص ٥٩.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٧٥).

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٤، وفيه عيسى بن مسلم الصفار وابنه منكرا الحديث.

فصل
في ذِكر ذِي القَرنَين وردمه بينَ السَّدَّين ونحوه(١)

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[الكهف: ٨٣] قال ابن مسعود: الذين سألوا رسول الله ﷺ هم اليهود.

واختلفوا في اسمه على أقوال:

أحدها: عبد الله بن الضحَّاك بن معَدّ، قاله علي كرم الله وجهه.

والثاني: الإسكندر، قاله وهب.

والثالث: عباس بن قيصر، وأبوه أوَّل القياصرة، قاله محمد بن علي بن الحسين زين العابدين.

والرَّابع: صعب بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة.

واختلفوا في علَّة تسميته بذي القرنين على أقوال:

أحدها: لأنه دعا قومه إلى الله تعالى فضربوه على قرنه فهلك، وغبر زمان ثم بعثه الله فدعاهم إليه، فضربوه على قرنه الآخر فهلك، قال علي عليه السلام: فذلك قرناه؛ وهذا القول يدلُّ على أنه كان نبيّاً.

والثاني: لأنه سار إلى مطلع الشمس وإلى مغربها، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: لأنَّ صفحتَي رأسه كانتا من نحاس، قاله مجاهد.

والرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتدَّ من الأرض إلى السَّماء فأخذ بقرني الشمس، فقصَّ ذلك على قومه، فسمِّي بذي القرنين، قاله عكرمة، وكان تأويل رؤياه أنه طاف الدنيا ما بين المشرق والمغرب.

والخامس: لأنه ملك الروم وفارس، قاله مقاتل، قال: وهما عاليان على الأرض من الجانبين فهما قرنان.

---

(١) انظر قصته في تفسير الطبري ١٥/ ٣٦٨ (هجر)، و«البدء والتاريخ» ١/ ٧٨، و«عرائس المجالس» ص ٣٦٢، وتاريخ دمشق ٦/ ١٠٨، وزاد المسير ٥/ ١٨٣، والتبصرة ١/ ١٦٥، والمنتظم ١/ ٢٨٦، و«البداية والنهاية» ٢/ ٥٣٦.

والسَّادس: كان في رأسه شبه القرنين، وقد رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب أيضاً.

والسَّابع: لأنه كان له غديرتان من شعر، قاله الحسن وابن الأنباري، قال: والعرب تسمِّي الضفيرتين من الشعر غديرتين.

قلت: وقد أشار الجوهري إلى هذا فقال: «والقرن الخصلة من الشعر» ومنه قول أبي سفيان في الرُّوم: ذات القُرُون[١].

قال الأصمعي: أراد قرون شعورهم وكانوا يطوِّلون ذلك، يعرفون به، وللرَّجل قرنان أي ضفيرتان. وذو القرنين لقب اسكندر الرُّومي، وكان يقال للمنذر بن ماء السَّماء ذو القرنين لضفيرتين كان يضفرهما في قرني رأسه فيرسلهما. هذا صورة كلام الجوهري[٢].

والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف من قبل أبويه، قاله الشعبي.

والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حيٌّ، قاله ابن المسيَّب.

والعاشر: لأنه سلك الظلمة والضوء، قاله الرَّبيع.

والحادي عشر: لأنه كان إذا قاتل قاتل بيده وركائبه جميعاً.

والثاني عشر: لأنه أُعطي علم الظاهر والباطن جميعاً، حكاهما الثعلبي[٣].

واختلفوا في زمان كونه على أقوال:

أحدها: في القرن الأول من ولد يافث بن نوح، قاله علي عليه السلام، وأنه ولد بأرض الروم.

والثاني: أنه بعد ثمود، قاله الحسن.

---

(١) قال أبو سفيان للعباس عندما رأى طاعة المسلمين للنبي ﷺ: يا أبا الفضل، ما رأيتُ كاليوم طاعةَ قومٍ، لا فارس الأكارم، ولا الروم ذات القرون. انظر «الروض الأنف» ١/ ٣٨٠.

(٢) «الصحاح» (قرن).

(٣) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٦٢ـ٣٦٣.

والثالث: أنه كان من ولد إسحاق من ذريَّة العيص، قاله مقاتل.

والرَّابع: أنه كان في الفترة بين موسى وعيسى عليهما السلام.

والخامس: بين عيسى ومحمد ﷺ.

والسادس: أنَّه كان من ذرِّيَّة يونان بن نوح في أيَّام الخليل عليه السلام، وهو الأصحُّ، ذكره أبو الحسين ابن المنادي.

وروى عطاء عن ابن عباس فقال: لقي ذو القرنين الخليل عليه السلام بمكَّة، وكان ذو القرنين قد حجَّ ماشياً، فسلَّم عليه واعتنقه وتصافحا.

وأخرجه ابن عساكر عن عبيد بن عُمير قال: أوَّل من حجَّ ماشياً ذو القرنين، وكان الخليل عليه السلام بمكَّة، فسمع به فخرج فتلقَّاه[1].

وروي أنه اجتمع به بالشَّام. قال مقاتل: كان إبراهيم جالساً بفلسطين، فسمع أصواتاً وجلبة فقال: ما هذا؟ قالوا: ذو القرنين وجنوده. فأرسل إليه الخليل رجلاً وقال: أقره مني السلام، فأتاه فقال: إبراهيم خليل الله يقرأ عليك السَّلام، فقال: وخليل الله هاهنا؟ قال: نعم، فنزل عن فرسه ومشى، فقيل له: بينك وبينه مسافة، فقال: ما كنت لأركب في بلد فيه خليل الله تعالى. فقام الخليل فالتقاه وسلَّم عليه ورحَّب به، وأوصاه وأهدى له بقراً وغنماً وحمل إليه ضيافة[2].

قلت: وهذا خلاف قول من قال: إن نمرود عاش أربع مئة سنة بعد إبراهيم، لأنَّ ذا القرنين ما كان في أيَّام نمرود بل بعده، لأنَّ ذا القرنين ملك الأرض أيضاً فتكون وفاة نمرود في أيَّام الخليل عليه السَّلام كما ذكر مقاتل.

وقال مقاتل: كان ذو القرنين من حمير، وفد أبوه إلى الرُّوم فتزوَّج امرأة من غسَّان فولدت له ذا القرنين، وقد ذكرناه.

واختلفوا: هل كان نبيّاً أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان نبيّاً، قاله عبد الله بن عمرو والضحَّاك.

---

(١) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٣٤٠.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ١٧/ ٣٤٠ـ٣٤١.

والقول الثاني: أنه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبيّاً ولا ملكاً، حكاه جدي رحمه الله في «التبصرة» عن عليٍّ عليه السلام[١].

وحدَّثنا عبد الرحمن بن أبي حامد الحربي بإسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أدري أكان ذو القرنين نبيّاً أم لا»[٢].

قلت: وقد روي عن علي وابن عباس أنَّه كان ملكاً صالحاً فاضلاً على دين إبراهيم عليه السَّلام، يأمر الناس بالتوحيد والتقوى.

وحكى جدي رحمه الله في «التبصرة» عن وهب أنَّه كان ملكاً[٣]. وحكى أيضاً عن علي رضي الله عنه أنه قال: أطاع الله فسخَّر له السحابَ فحُمل عليه، ومدَّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء[٤]. وحكى هذه الأقوال أبو القاسم ابن عساكر[٥].

وقال أبو الحسين ابن المنادي: كان ذو القرنين أحدَ عظماء الملوك، إلَّا أنَّ الله تعالى أعطاه التوحيد والطَّاعة واصطناع الخير والمعونةَ على الأعداء، ففتح الحصون والمدائن وغلب الرجال، وعمَّر عُمُراً طويلاً، فبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وبنى السدَّ، وحصر يأجوج ومأجوج وراءه، وكان رحمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين[٦].

وروى الوالبي عن ابن عباس قال: كان أوَّل أمر ذي القرنين أنه كان غلاماً من الروم أعطي مُلكاً، فسار حتى أتى مصر فابتنى بها مدينة يقال لها: الإسكندرية، فلمَّا فرغ من بنائها أتاه مَلَكٌ فعرج به، فقال: انظر ما تحتك؟ فقال: أرى مدينتي وأرى معها مدائن، ثم عرج به فقال: انظر، فنظر وقال: أرى مدينتي وحدها ولا مدائن معها، فقال له

(١) «التبصرة» ١/ ١٦٦.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٧، قال ابن كثير في البداية ٢/ ٥٣٧: وهذا غريب من هذا الوجه.

(٣) «التبصرة» ١/ ١٦٦.

(٤) «التبصرة» ١/ ١٦٦.

(٥) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٣٣٣.

(٦) انظر «المنتظم» ١/ ٢٨٨.

الملَكُ: إنما تلك الأرض كلها، وهذا السَّواد الذي ترى محيطاً بها هو البحر، وإنما أراد الله أن يريَكَ الأرض، وقد جعلك سلطاناً فيها، فَسِرْ فيها شرقاً وغرباً فعلِّم الجاهل وثبتِ العالم[1].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قطع الإسكندر الأرض من مشرقها إلى مغربها في اثنتي عشرة سنة.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: كان ذو القرنين إذا سار يكون أمامه على مقدمته ست مئة ألف، وهو في الوسط في ألف ألف، وفي ساقته مئة ألف لا ينقص هذا العدد، كلما هرم واحد جعل مكانه غيره.

فصل في سَيره في الأرض وبنائه السَّدّ وغير ذلك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أي: وطَّأْنا له في الأرض وهديناه طرقها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه ويستعين به الملوك على فتح الحصون والمدن ومحاربة العدوِّ.

وقوله: ﴿سَبَبًا﴾[الكهف: ٨٤] قال ابن عباس: أي علماً يتسبَّب به إلى ما يريد من بلوغ المقاصد، كما فعل سليمان عليه السلام، وقيل: هو العلم بالطرق والمسالك[2] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٥] السبب الطريق، ومعنى «أَتْبَعَ» أي: سلك وسار يقفو الآثار، ومنه ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٧] أي: طرقها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف: ٨٦] قال أبو إسحاق الثعلبي بإسناده عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر، قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذرٍّ، هل تدري أين تغربُ هذه الشَّمسُ»؟ قلت: الله ورَسُولُه أعلم، فقال: «إنَّها تَغربُ في عَينٍ حَامِيةٍ»[3].

وقد رواه عبد الله بن عمرو فقال: نَظرَ رسولُ الله ﷺ إلى الشمس وقد غربت فقال:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/ ٣٦٨ من حديث عقبة بن عامر.

(٢) انظر «التبصرة» ١/ ١٦٦ـ١٦٧. و«زاد المسير» ٥/ ١٨٥.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٤٥٩).

«في نارِ اللهِ الحامِيةِ لولا ما يَزَعُها من أمر اللهِ لأحرَقت ما على وَجهِ الأرضِ»[١]، وقد ذكرناه في فصل الشمس.

وقال الحسن البصري: وجدها تغرب في ماء يغلي غليان القدور؛ ويفيض الماء من تلك العين الحارَّة حولها ثلاثة أيام، لا يأتي على شيء إلا احترق[٢].

والجمهور على القراءة الأولى وهي ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ مهموز، أي: ذات حمأة، وهي الطينة السوداء. وقال كعب: أجدها في التوراة تغرب في عين سوداء، فوافق ابن عباس.

وذكر الثعلبي أيضاً بإسناده عن عمرو بن ميمون قال: سمعت أبا حاضر، أو ابن حاضر رجل من الأزد، يقول: سمعت ابن عباس قال: إني لجالس عند معاوية إذ قرأ: «تغرب في عين حامية» قال ابن عباس: فقلت ما نقرأها إلا ﴿حَمِئَةٍ﴾، فقال معاوية لعبد الله بن عمر: وكيف تقرأها؟ فقال: كما قرأتها يا أمير المؤمنين يعني: حامية، قال ابن عباس، فقلت: في بيتي نزل القرآن، فأرسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال كعب: أمَّا العربية فأنتم أعلم منَّا بها، وأمَّا الشَّمس فإني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين، قال أبو حاضر الأزدي: لو كنت عندكما حاضراً لأنشدتك ما تزداد به بصراً في قولك: حمئة، فقال ابن عباس: وما هو؟ فقلت: قول تُبَّع: [الكامل]

قد كان ذو القرنين قبليَ مُسلماً ... ملكاً تدينُ له الملوك وتسجدُ
بلغَ المشارق والمغاربَ يبتغي ... أسبابَ أمرٍ من حكيم مُرشد
فرأى مغار الشمس عند غروبها ... في عين ذي خُلُب وثَأْط حرمد

قال: فقال ابن عباس: ما الخُلبُ؟ قلت: الطين في كلامهم، يعني أهل اليمن، قال: فما الثأط؟ قلت: الحمأة، قال: وما الحرمد؟ قلت: الأسود. فدعا رجلاً أو

(١) أخرجه أحمد (٦٩٣٤). وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٥٤٦: فيه غرابة، وفيه رجل مبهم لم يسمّ، ورفعه فيه نظر، وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو.

(٢) انظر «التبصرة» ١/ ١٦٧.

غلاماً فقال له: اكتب ما يقول[١].

قلت: ذكر الثعلبي هذه الأبيات مرفوعة، وهي لحن فاحش. قلت: وفيها علّة أخرى، وذلك لأن كعباً مات في سنة اثنتين وثلاثين، ومعاوية ولي الأمر بعد الأربعين. فبينهما تسع سنين.

وقال أبو العالية: بلغني أن الشمس تغرب في عين، والعين تقذفها إلى المشرق.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ يعني: أناساً، لباسهم جلود السباع، ليس لهم طعام إلَّا ما أحرقت الشَّمس من الدَّواب عند غروبها، وما لفظت العين من الحيتان، ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[الكهف: ٨٦] من قال إنه كان نبياً يقول: ﴿قُلْنَا﴾ وحيٌ من الله تعالى، ومن قال: إنه لم يكن نبياً يقول: هو إلهام ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ أي: تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[الكهف: ٨٦] يعني الصفح والعفو، وقيل: إمَّا أن تأسرهم فتعلمهم طريق الهدى وتبصرهم طريق الرشاد ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشرك بالله ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾[الكهف: ٨٧] أي: منكراً وهو عذاب النَّار ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: جزاء الأعمال الصالحة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[الكهف: ٨٨] أي: نلين له القول ونهوِّن عليه الأمر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾[الكهف: ٨٩] أي: طرقاً ومنازل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾[الكهف: ٩٠] قال قتادة: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك لأنهم كانوا في مكان لا يستقرُّ عليه البنيان، وكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. وقال الحسن: كانت أرضهم أرضاً لا تحتمل النَّبات، فكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تهوروا في الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم. وقال ابن جريج: جاءهم جيش مرَّة فقال لهم أهلها: لا تطلع عليكم الشمس وأنتم هاهنا، فقالوا: ما نبرح حتى تطلع الشمس، ثم رأوا عظاماً فقالوا: ما هذه؟ قالوا: عظام قوم طلعت عليهم الشمس ها هنا فماتوا، فذهبوا هاربين في الأرض[٢].

---

(١) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٦٦.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٦٧.

وقال قوم[١]: هم الزنج.

وقال الكلبي: هم تاريس ومنسك وتاويل، عراة حفاة عماة عن الحق[٢].

وحكى الثعلبي عن عمرو بن مالك بن أمية قال: وجدت رجلاً بسمرقند يحدِّث عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال: خرجت حتى جاوزت الصين، ثم سألت عنهم فقيل لي: إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرت رجلاً وسرت بقيَّة عشيَّتي وليلتي حتى صبحتهم، فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلتحف بالأخرى، أو يلبس الأخرى، وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم، قالوا: وما أنتم؟ قالوا: جئنا حتى ننظر إلى الشمس كيف تطلع، قال: فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة، فغشي عليَّ فوقعت، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن. فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي كهيئة الزيت، وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط، فلما ارتفعتْ أدخلوني سَرَباً لهم أنا وصاحبي، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصيدون السمك فيطرحونه في الشمس ويأكلونه[٣].

وقال مجاهد: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل من لم يؤمن حتى بلغ مطلع الشمس، وذكر بمعنى ما ذكرناه.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ على أقوال:

أحدها: كما بلغ مغرب الشمس كذا بلغ مطلعها.

والثاني: أن معناه: كما أتبع سبباً أتبع سبباً آخر وحكم بحكم أولئك، ثم استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[الكهف: ٩١] يعني: بما عنده ومعه من الملك والجيوش والآلات والأمم ﴿خُبْرًا﴾ أي: علماً.

حديث السدِّ ويأجوج ومأجوج

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[الكهف: ٩٢] أي: سلك طريقاً إلى المشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

(١) في (ل): وقال قتادة، والمثبت من (ب)، وانظر تفسير الطبري ١٥/ ٣٨٣.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٦٧.

(٣) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٦٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٩٢.

﴿بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال وهب: وهما جبلان مَنِيعان رأسهما في السماء، ومن ورائهما البحر(١).

قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[الكهف: ٩٣] أي: لا يفهمونه إلا بعد إبطاء ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ فإن قيل: فقد أخبر عنهم أنهم لا يفقهون، أي: لا يفهمون قولاً، ثم قال: ﴿قَالُوٓاْ﴾، قلنا: كلَّمهُ عنهم ترجمان يفهم ما يقول، وذلك جائز. وهؤلاء القائلون هم دون سدِّ يأجوج ومأجوج ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الكهف: ٩٤] أصل يأجوج ومأجوج من أجيج النار، وهو ضوؤها ولهبها، شُبِّهوا به لكثرتهم وشدَّتهم.

واختلفوا فيهم على أقوال:

أحدها: أنهم من ولد يافث بن نوح، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم من غير حوَّاء، وذلك لأن آدم نام ذات يوم فاحتلم، فامتزجت نطفته بالتراب، فلما انتبه أسف على ذلك الماء الذي خرج منه، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم، حكاه الثعلبي عن كعب الأحبار(٢).

والثالث: أنهم جيل من الترك، قاله الضحاك(٣). وذكرهم الجوهري فقال: الأجيج: تلهب النار(٤).

وقال علي عليه السلام: منهم من طوله شبر، ومنهم مفرط الطول، ولهم شعور تواريهم، ومنهم من وجهه وجه كلب ووجه أسد ودبٍّ ونحو ذلك(٥).

---

(١) انظر «التبصرة» ١/ ١٦٨.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ١٩٣، قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٥٥٣، والتفسير ٣/ ١٠٤: ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم . . . فهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن.

(٣) انظر «زاد المسير» ٥/ ١٩٠.

(٤) «الصحاح»: (أجج).

(٥) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٥٥٣: فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان.

وقال ابن عباس: السَّدُّ بين أرمينية وأذربيجان.

ومعنى فسادهم في الأرض: أنهم كانوا يأكلون النَّاس. وقال الكلبي: كانوا يخرجون في أيَّام الرَّبيع في السهل فلا يدعون شيئاً إلّا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه. وقيل: معناه في المستقبل، أي: سيفسدون في الأرض، وقد دلَّ الحديث عليه لما نذكر في آخر الفصل.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قرأه العامَّة بغير ألف، وقرأه حمزة والكسائي وأهل الكوفة «خراجاً» بألف. ومعناه: نجعل لك أجراً وجُعلاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[الكهف: ٩٤] أي: حاجزاً فلا يصلون إلينا. قال لهم ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ وقرأ أهل مكة «مكنني» بنونين على الإظهار، وقرأ الباقون «مكَّنِّي» بنون واحدة على الإدغام. ومعنى ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ﴾ أي: خير من خرجكم، ولكن أعينوني ﴿بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[الكهف: ٩٥] أي: حائطاً أو حاجزاً. قالوا: وما تلك القوَّة؟ قال: صُنَّاع وفَعَلة يحسنون هذا، قالوا: وما تلك الآلة؟ قال: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: قِطَع الحديد فأتوه بها فبناه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وهما جانبا الجبل، فجعل بينهما الحطب ونسج عليه الحديد وألقى عليه القِطْر، وهو النُّحاس المذاب، فأكلت النار الحطبَ، وصار النُّحاس موضعَ الحطب، فاختلط الحديد بالنحاس وهو يقول: ﴿ٱنفُخُوا۟﴾[الكهف: ٩٦] حتى كمل واستوى ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يعلون فوقه ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾[الكهف: ٩٧] من أسفله. فقال ذو القرنين: ﴿هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ يعني السدَّ، فلهذا لم يقل: هذه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾[الكهف: ٩٨] أي: مستوياً بالأرض.

وقال مقاتل: وصل إلى مدن معطلة قد بقي فيها بقايا من النَّاس، فسألوه أن يسدَّ ما بينهم وبين يأجوج ومأجوج. وقال مقاتل: لما سار إلى المشرق جعل طريقه على الهند والتُّبَّت، فتلقته الملوك بالهدايا والطاعة، إلى أن وصل إلى الأرض السوداء المنتنة، فقطعها سيراً حثيثاً في شهر، ووصل إلى المدائن المجاورة ليأجوج ومأجوج، فنزل بجيوشه فيها ومعه العلماء وأرباب الصنائع. فلمَّا عزم على بناء السدِّ اتخذ القدورَ الكبار من النحاس والحديد والمغارف، وأمر بأن يجعل دَوْرَ كلِّ قِدْرٍ خمسين ذراعاً، فبناه،

وجعل في وسطه باباً ارتفاعه خمس مئة ذراع وعرضه مائة ذراع بالذراع الأعظم، وهو الباع، وعمل عليه مصراعين وقفلاً كبيراً، وكل ذلك أملس كملاسة الجبل.

وذكر ابن خرداذبه في كتاب «المسالك والممالك» قال: حدَّثني سلام الترجمان قال: رأى هارون الواثق بالله في منامه كأنَّ السدَّ قد فتح فانزعج، وقال: تجهز إلى السدِّ، وضمَّ إليَّ عسكراً، ووصلني بخمسة آلاف دينار، وأعطاني ديتي عشرة آلاف درهم، وأعطى كلَّ فارس معي ألف درهم ورزق ستة أشهر. قال: فَشَخَصَنا من سُرَّ مَن رَأى بكتاب الواثق إلى نائبه بأرمينية وهو إسحاق بن إسماعيل، فوافيناه بتَفلِيس، فكتب لنا كتاباً إلى صاحب مملكة السَّرير واللَّان، فكتبوا لنا كتاباً إلى ملك الخَزَرِ، فبعث معنا الأدلَّاء وسرنا من عند ملك الخَزَر خمسةً وعشرين يوماً ثم وقعنا في أرض سوداء منتنة الريح، فسرنا فيها عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب، فسرنا فيها تسعة وعشرين يوماً، فسألنا الأدلَّاء عنها فقالوا: هذه مدن كان يأجوج ومأجوج يطرقونها فأخربوها. ثم سرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي فيه السدُّ، وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية، مسلمون يقرؤون القرآن، وعندهم مساجد ولهم زروع وعيون، فقالوا: من أين جئتم؟ قلنا: من العراق، ونحن رسل أمير المؤمنين الواثق، فعجبوا وقالوا: ما سمعنا بهذا قط. ثم صرنا إلى جبل أملس مقطوع بوادٍ عرضه خمس مئة ذراع وأكثر، وفيه السدُّ، وإذا عضادتان كل واحدة مما يلي الجبل، وعليها باب بمصراعين عرض كل واحد خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسين ذراعاً في ثخن خمسة أذرع، وقائمتهما في دَرْوَنْد من حديد، وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً، وفوقه غَلقٌ أطول من القفل وقفيز، وعليه مفتاح عظيم بسلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة ذراع، والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق، وعتبة الباب عشرة أذرع في بسط مئة ذراع، ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبَّة من حديد وزنها خمسون ومئة منٍّ، فيضربون الباب بتلك المرزبَّات مراراً ليسمع من خلف الباب، فيعلمون أنَّ هناك حفظةً وهناك آلة البناء والقدور والمغارف وبقيَّة اللبن والقدور، ويصعد إليها بسلالم، فسألناهم: هل رأيتم أحداً من يأجوج ومأجوج؟ قالوا: رأينا مرة

عدداً فوق الشرافات[١]، فهبت ريح سوداء فألقتهم وراء الجبل، ومقدار الرجل شبر.

قال سلام: ثم عدنا فخرجت بنا الأدلَّاء من خلف سمرقند بسبعة أيام وسبعة فراسخ، ورجعنا إلى سُرَّ مَن رأى بعد خروجنا بثمانية وعشرين شهراً.

وقد ذكر جدي رحمه الله هذه الحكاية في كتاب «التبصرة» في سيرة ذي القرنين واختصرها[٢].

وقد روي: أن يأجوج ومأجوج يحفرون السدَّ كل يوم، فقال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ يَأجُوجَ ومَأجُوج ليَحفِرُون السَّدَّ كُلَّ يوم حتى إذا كادُوا يَرَون شُعاع الشَّمسِ قال الذي عليهم: ارجعُوا فسَتَحفِرُونَه غَداً، فيعُودُونَ إليهِ فَيَرونَه كما كان أو أشدَّ، حتى إذا بلغت مُدَّتُهم وأراد اللهُ أن يَبعثَهم على النَّاس حَفَروا، حتى إذا كادوا يَرَونَ شُعاعَ الشَّمسِ قال الذي عليهم: ارجعوا فستَحفِرُونه غداً إن شاء الله تعالى فيعودُونَ إليه فَيَرونَهُ على هَيئتِهِ التي تَركُوهُ عليها، فَيحفِرُونَه وَيخرُجُونَ على النَّاس، فيَنشُفُونَ المياهَ ويتَحصَّنُ النَّاسُ منهم بحصُونِهم، فَيَرمُونَ بِسهامِهِم نحو السَّماءِ، فَترجِعُ وعليها أثر الدَّمِ أو كَهيئَةِ الدَّمِ، فيقولون: قَهَرنا أهلَ الأرض وعَلَونا أهلَ السَّماءِ، فَيبعَثُ الله عليهم نَغَفاً في أقفائِهم فيقتُلُهم بها، فوالذي نَفسِي بِيَدِه إنَّ دوابَّ الأرضِ لتشكَر من لُحُومِهم أو دِمَائِهم»[٣].

قال الجوهري: النغف الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم[٤]، وتَشْكَر: أي تمتلىء، من قولهم: شكر الضرع إذا امتلأ[٥].

وقد روى أبو إسحاق الثعلبي حديثاً في هذا المعنى فقال: حدَّثنا عبد الله بن حامد بإسناده عن أبي سعيد الخُدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يفتحُ يأجوجُ ومأجُوجُ

(١) وكذا هي في عرائس المجالس ٣٦٩، وفي «المسالك والممالك» ص ١٤١: فوق الجبل، وفي المنتظم ١/ ٢٩٦: فوق الشُّرف.

(٢) «التبصرة» ١/ ١٦٨ـ١٦٩.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٦٣٢).

(٤) «الصحاح»: (نغف).

(٥) «الصحاح»: (شكر).

فيخرجُون كما قال الله عز وجل: ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[الأنبياء: ٩٦] فَيَغْشَوْنَ الأرض، وينحازُ المسلمون إلى حصونهم ومدائِنهم، حتى إنَّ أولهم يمرُّون بالنَّهر من أنهار الأرض ـ وقال أبو الهيثم: دجلة ـ فيشرَبُون حتى تصير يابسة، فيمرُّ به الذين من بعدهم فيقولون: لقد كان بهذا المكان ماءٌ مرةً. حتى إذا ظهروا على أهل الأرض قالوا: هؤلاء أهلُ الأرض قد فرغنا منهم، وبقي أهل السماءِ فيهزُّ أحدُهُم حَربَتَه، ثم يقذِفُ بها إلى السماء فترجع إليه مُخضَبَةً دماً للفتنة، فبينما هم كذلك إذ بعثَ اللهُ عليهم دُوداً في أعناقهم كنَغَفِ الجَرادِ، فيمُوتُون موتَ الجَرادِ، فيُصبحُ المسلِمونَ ما يسمَعُونَ لهم حِسّاً، فيقولون: هل من رجل يشترِي لنا نَفسَهُ فينظُرُ ما فَعلَ هؤلاء القوم؟ فينزِلُ رجلٌ منهم قد أيقَنَ أنَّه مقتُولٌ، فيَجدُهم موتَى بعضُهُم على بَعضٍ، فينادي: أبشِروا فقد كَفاكُم اللهُ أمرَ عدوكُم، فيخرجُ المسلِمونَ فيُرسِلُون مواشِيَهم فيهم، فما يَكونُ لهم رَعيٌ غير لُحومِهم، فتَشْكَرُ عليه كأحسَنِ ما شكَرت على شيءٍ من النَّباتِ أصابَتهُ قطّ»[1].

وقال الثعلبي بإسناده عن عبد الله، قال: سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: «يأجوجُ أُمَّةٌ ومأجوجُ أُمَّةٌ، كلُّ أُمَّةٍ أربع مئة ألف، لا يموتُ أحدُهم حتى ينظُرَ إلى ألفِ ذَكرٍ من صُلبِه كُلُّهم قد سَلَّ السِّلاحَ» فقال: يا رسول الله، صِفهُم لنا، فقال: «هم ثلاثةُ أصنَافٍ: صِنفٌ منهم أمثال الأَرْزِ» قيل: يا رسول الله، وما الأَرزُ؟ قال: «شجرٌ بالشَّامِ طولُ الشَّجرةِ عشرُون ومئة ذِراع، وصِنفٌ منهم عرضُهُ وطُولُه سواء، وصِنفٌ منهم يَفرُشُ أذُنَه ويلتَحِفُ بالأخرى، لا يمرُّونَ بِفيلٍ ولا وَحشٍ ولا خِنزِيرٍ إلا أكلُوهُ، ومَن مَاتَ منهم أكلُوهُ، مقدِمتُهم بالشَّامِ وساقتهم بخُراسَان، يَشربُونَ أنهارَ المشرقِ وبُحيرةَ طبرية».

قلت: وقد أخرج جدِّي هذا الحديث في «الموضوعات» وقال: قال ابن عدي: هذا حديث منكر موضوع[2].

وذكر مقاتل أنَّ السدَّ عرضه فرسخ وطوله فرسخ. وذكر صاحب «المسالك»: أنَّ

(١) أخرجه أحمد (١١٧٣١).

(٢) «الموضوعات» (٤١٦) والكامل لابن عدي ٦/ ١٦٩ عن حذيفة.

ارتفاعه في الهواء فرسخين، وكذا عرضه، وينتهي إلى البحر الأعظم[١]. ودونهم قوم لا يعرفون آدم، ودونهم إلى ناحية يأجوج ومأجوج أمَّة من الحيَّات تَبلَعُ منهم الحيَّة الصخرة العظيمة.

وقال قتادة: الجبل الذي فيه السدُّ يقال له: جبل الرَّدم، وجميعه على بحر الخَزَرِ، وينتهي إلى البحر المظلم، وطوله ألف فرسخ، وليس له طريق إلى البر إلَّا من ناحية السد، وفيه يأجوج ومأجوج، وطعامهم أفاعي البحر، يبعث الله السحب فتغترف الأفاعي من البحر ثم تمطر عليهم فيأكلونها، ولكل واحد منهم فرجان وينكح نفسه، ولا يموت حتى يرى من نسله ألف إنسان، ثم يموت فيرمى في البحر فتأكله أفاعي البحر[٢].

فصل في سلوكه الظلمة وطلبه لعين الحياة

قال جدِّي رحمه الله في تاريخه المسمَّى بـ «المنتظم»: حدَّثنا أبو بكر محمَّد بن عبد الباقي البزاز بإسناده عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جدِّه عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان لذي القرنين خليل من الملائكة يقال له: ربائيل يتردَّد إليه، فقال له يوماً: يا ربائيل، أخبرني عن عبادة الملائكة في السماء، فقال: منهم سجود لا يرفعون رؤوسهم، وقيام لا يركعون، وركوع لا يرفعون، ومع هذا فإنهم يقولون: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك. فبكى ذو القرنين وقال: إني أحب أن أعيش حتى أبلغ من عبادة ربي حقَّ طاعته، فقال له الملك: أتحب ذلك؟ قال: نعم، قال: فإن في الأرض عيناً يقال لها: عين الحياة، من شرب منها لا يموت حتى يكون هو الذي يسأل ربَّه الموت. قال: فهل فيكم من يعلم مكانها؟ قال له الملك: إنها في ظلمة لا يصلُ إليها إنسيٌّ ولا جنِّيٌّ. فجمع ذو القرنين حكماء أهل زمانه والعارفين بأخبار العالم وقال: هل وجدتم فيما قرأتم من الكتب أنَّ لله في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة؟ قالوا: لا، فقال عالم من العلماء يقال له أفشنجير: نعم، إني وجدت في وصيَّة آدم أنها في ظلمة على قرن الشمس عند طلوعها. فسار ذو القرنين يطلبها إلى أن

(١) «المسالك والممالك» ص ١٤٢.

(٢) سلف قريباً قول ابن كثير إن هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان.

بلغ طرف الظلمة، وذلك في اثنتي عشرة سنة، فوقع في ظلمة لا تشبه ظلمة الليل بل تفور مثل الدخان، فعسكر هناك، وعزم على دخولها، فنهاه الحكماء فلم ينته، وقال لأهل الخبرة: أيُّ الدواب أبصر بالليل؟ قالوا: إناث الخيل البكارة، فجمع من عسكره ستة آلاف فرس من ذلك الجنس، وانتخب من عقلاء عسكره ستة آلاف، ودفع لكلِّ واحدٍ فرساً. وكان معه الخضر، وهو ابن خالته ومشيره ووزيره، فقدَّمه في ألفين، وبقي هو في أربعة آلاف، وأمره بالمسير في مقدمته، فقال له الخضر: إنما نسير في ظلمة، فكيف يصنع من ضلَّ منا عن صاحبه؟ فدفع إليه ذو القرنين خرزةً حمراء وقال: إذا ضللت فألقِ هذه الخرزةَ في الأرض، فإذا صاحت فليرجع إليها الضُّلَّالُ. فسار الخضر بين يديه يرتحل الخضر وينزل الإسكندر، وقد علم الخضر ما يطلب الإسكندر. فبينا الخضر يسير إذ عارضه وادٍ، فغلب على ظنِّه أن العين فيه فرمى بالخرزة، فأضاءت الظلمة، وصاحت الخرزة، فإذا هي على حافة العين، فنزل الخضر فإذا ماء أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وقال لأصحابه: امكثوا. واغتسل وتوضأ وشرب منها ورمى بالخرزة نحو أصحابه فصاحت، فتراجعوا إليه وساروا، ومرَّ ذو القرنين فأخطأ العين، وساروا أربعين يوماً في الظلمة، ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر، وأرض حمراء رملة، وإذا بقصر مبني فرسخ في فرسخ، فنزل ذو القرنين ودخل القصر، وإذا بحديدة طرفاها على حافتي القصر، وإذا بطائر أسود كأنَّه الخطَّاف مزموم أنفه إلى الحديدة معلَّق بين السماء والأرض، فلمَّا سمع الطائر حسَّ الإسكندر قال له: ما جاء بك إلى ها هنا؟ أما كفاك ما وراءك يا ذا القرنين؟ ثم قال: هل كثر البناء بالجص والآجر؟ قال: نعم، فانتفض الطائر وانتفخ حتى بلغ ثلث الحديدة، ثم قال: هل كثرت شهادات الزور؟ قال: نعم، فانتفض حتى ملأ الحديدة وسدَّ بين جداري القصر، ففزع ذو القرنين، فقال الطائر: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، فانضم الطائر، قال: فهل تركوا الصلاة المفروضة وغسل الجنابة؟ قال: لا. فعاد الطائر كما كان. قال: ورأى في سطح القصر رجلاً قائماً، قال: من أنت؟ قال: صاحب الصور، وقد اقتربت الساعة، وأنا أنتظر أمر ربي فأنفخ. ثم ناول ذا القرنين حجراً وقال: خذه فإن شبع شبعت، وإن جاع جعت. وعاد ذو القرنين إلى أصحابه

وأخبرهم بما رأى، وأراهم الحجر فوضعوه في كفة، وتركوا في قبالته حجراً آخر، فرجح عليه، فعلوا ذلك مراراً، ففهم الإسكندر وقال: لو وضعتم في قبالته أحجار الدنيا لرجح عليها، ثم ترك الحجر في كفَّة، ووضع معه كفاً من تراب، وبمقابلته حجراً آخر، فاستويا في الميزان، فقال الخضر: هذا مثلٌ ضربه اللهُ لابن آدم لا يشبع أبداً حتى يحثى عليه التراب. فقال الإسكندر: هو ما يقول، لا جرم لأرجعنَّ إلى وطني، ولا أطلب أثراً في البلاد. ثم ارتحل راجعاً، فبينما هو في وسط الظلمة وطىء الوادي الذي فيه الزبرجد، فقال: خذوا منه، فمن أخذ منه ندم، ومن ترك ندم. فأخذ منه قوم وترك آخرون، فلما خرجوا من الظلمة نظروا فإذا هو زبرجد، فندم الآخذ حيث لم يزدد والتارك حيث لم يأخذ. ورجع ذو القرنين إلى دومة الجندل فلم تزل منزله حتى مات[1].

قلت: ومن العجائب أنَّ جدِّي رحمه الله ما ذكر في «الموضوعات» هذه الحكاية، فإنه قد ذكر في «الموضوعات» و«الواهية» أسماءَ جماعة فيها مثل: إبراهيم بن سعيد الجَوزَقي وإسماعيل بن مسعدة وإسحاق الفَرْوي، وفي متنها ألفاظ ركيكة جداً، منها الخرزة، وقد كان الإسكندر أحوج إلى الخضر منها. وكذا كون الخضر وقع على عين الحياة ولم يخبر بها الإسكندر وقد علم مقصوده فكان الخضر خائناً له، وكذا الطائر فإنه الدَّجَّال وهو في جزائر الهند، وكذا سؤاله عن الصلوات الخمس وغسل الجنابة ونحوها، فإنَّ هذه الأشياء لم تكن مشروعة في ذلك الوقت، وقد انطلى هذا المعنى على خلق كثير حتى قالوا فيه الأشعار، أنشدنا عمر بن صافي بالموصل في سنة أربع وست مئة لغيره: [من الكامل]

سلع المطامعِ لا تفوت وإنَّ مَن ... ترك المطامعَ كان أربحَ متجرا
نال الذي ترك المطامع خلفه ... عينَ الحياةِ وفاتت الإسكندرا
لا تطلبنَّ سوى السَّعادةِ للعُلى ... شيئاً فكلُّ الصَّيدِ في جوف الفرا

وذكر أبو القاسم ابن عساكر في «تاريخه» من هذا الجنس العجائب[2].

والمنقول عن الحسن البصري أنه قال: حدَّثني أبو أمامة الباهلي: أنَّ ذا القرنين سار

(١) «المنتظم» ١/ ٢٨٩، وعرائس المجالس ٣٧٠.
(٢) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٣٥٠.

في الظلمة وحده ثمانية عشر يوماً حتى انتهى إلى جبل قاف في طلب عين الحياة[1].

قلت: وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» عجائب من هذا الجنس، فقال: قال وهب بن منبِّه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، فلما بلغ ـ وكان عبداً صالحاً ـ قال الله: يا ذا القرنين، إني باعثك إلى الأمم، وهم مختلفة ألسنتهم، وهم أمم جميع الأرض، وفيهم أمَّتان بينهما عرض الأرض كله، وأمَّتان بينهما طول الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فأمَّا الأمَّتان اللتان بينهما عرض الأرض فأمَّة في قطر الأرض الأيمن يقال لها: هاويل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها: تاويل. وأمَّا اللتان بينهما طول الأرض فأمَّة عند مغرب الشمس يقال لها: ناسك، وأمَّا التي في المشرق يقال لها: منسك. فلمَّا قال الله له ذلك قال ذو القرنين: إلهي، إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر عليه إلَّا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي تبعثني إليها: بأي قوَّة [أكابرهم]؟ وبأي جمعٍ وبأيِّ حيلة [أكاثرهم]؟ وبأيِّ صبرٍ أقاسيهم به؟ وبأي لسان أناطقهم به؟ وكيف لي أن أفقه لغاتهم؟ وبأي سمع أسمع أقوالهم؟ وبأي حجة أخاصمهم؟ وبأي عقل أعقل عنهم؟ وبأي قلب وحكمة أدبرهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأيِّ جندٍ أقاتلهم؟ وليس عندي مما ذكرتُ ما يقوم بهم، وأنت الرحيم الذي لا تكلِّف نفساً إلا وسعها، ولا تحمِّلها إلا طاقتها. فقال الله: إني سأشرح صدرك فتسمع كل شيء، وأفتح فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لسانك فتنطق بكل شيء، وأمدُّ لك بصرك فتبصر كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخِّر لك النور والظلمة وأجعلهما جنداً من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك ـ وذكر ألفاظاً من هذا الجنس ـ قال: فلما قيل له ذلك انطلقَ يؤمُّ الأمم نحو المغرب، فوجد جمعاً لا يحصيه إلا الله تعالى، وألسنةً مختلفة، وأهواء متشتِّتة، فلمَّا رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد، ثم أخذ عليهم النور فدعاهم إلى الله

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ١٧/ ٣٤٢.

وعبادته، فمنهم من آمن ومنهم من صدَّ عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، فماجوا وتحيَّروا، فلمَّا أشفقوا أن يهلكوا بها عجُّوا إليه بصوت واحد فكشفها عنهم، فدخلوا في دعوته، فجنَّد منهم أمماً عظيمة، ثم انطلق بهم يقودهم والنور بين أيديهم والظلمة تسوقهم من خلفهم، وسار يريد الأمَّة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها: تاويل، والأمم تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر بنى سُفناً من ألواحٍ صغارٍ ونظمها، ثم حمل فيها مَن معه، فإذا قطعها دفع إلى كلِّ واحد منهم لوحاً فلا يكترثن بحمله، حتى انتهى إلى ناسك فأطاعوه، وإلى هاويل ففعل كذلك، ثم سار إلى مطلع الشمس إلى منسك، وحكم على جميع الأمم، ووصل إلى سد يأجوج ومأجوج، وذكر شكاوى أهل تلك البلاد منهم، وقالوا: اجعل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[الكهف: ٩٤] فإنهم يتسافدون كالبهائم، ويأكلون الناس والحشرات، فقاس الإسكندر السدَّ فوجد مكانه مئة فرسخ، فحفر أساسه، وجعل عرضه خمسين فرسخاً ثم بناه وشرَّفه. وذكر الثعلبي كلاماً اختصرته[1].

فصل في ذكر الأمَّة الصالحة التي مر بها الإسكندر

ذكر وهب بن منبه عن صفوان بن عمرو الخزاعي قال: أتى ذو القرنين على أمة صالحة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٥٩] فوجد حالتهم في العدل والتراحم سواء، أخلاقهم حسنة، وطريقهم مستقيمة، وقلوبهم طاهرة، وليس في أيديهم شيء مما يتعامل به الناس، قد احتفروا قبورهم على أبواب بيوتهم، فإذا أصبحوا جاؤوا إليها فتعاهدوها وصلُّوا فيها، فإذا تعالى النهار خرجوا إلى البرِّيَّة فَرَعَوْا بقلها كما ترعى الدوابُّ الحشيش، وليس على بيوتهم أبواب، ولا عليهم ولاة ولا بينهم قضاة، ولا يتنازعون ولا يتباغضون ولا يتحاسدون ولا يقتتلون، وليس فيهم فقير ولا مسكين، فعجب الإسكندر منهم وقال: أما لكم ملك؟ قالوا: بلى رجل جالس على رأس هذا الجبل، فأرسل إليه فقال: ما لي إليك من حاجة. فركب الإسكندر وصعد إليه، فسلَّم عليه، وإذا رجل من أعقل الناس وأزهدهم، وبين يديه جماجم يقلِّبها بيده،

(١) انظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٩٤، و«عرائس المجالس» ص ٣٦٤ـ٣٦٦، وما بين معكوفين منه.

ولم يكترث بالإسكندر ولم ينزعجْ له. فقال له الإسكندر: أخبرني عن هذه الحال التي أنتم عليها، فإني لم أجد في الأمم أحداً على مثلها، فقال: سلْ عما بدا لك، قال: ما أرى في أيديكم شيئاً من الدنيا، فهلَّا استمتعتم بالذهب والفضة وتعاملتم بهما؟ فقال: لأنا ما رأينا أحداً نال منهما شيئاً إلا وتاقت نفسه إلى ما هو أعظم منه، فقال: فما بالكم حفرتم قبوركم على أبواب بيوتكم؟ قال: لأنّا إذا نظرنا إليها قصرت آمالنا فنذكر الموت، قال: فما بال بيوتكم ليس لها أبواب؟ قال: ليس بيننا متهم ولا خائن، قال: فما بالكم ليس عليكم حاكم؟ قال: لأنَّا لا نتنازع في شيء، قال: فما بالكم ترعون البقل وتدعون الحيوانات؟ قال: نكره أن نجعل بطوننا قبوراً لها، وفي البقل كفاية ومقنع. قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قال: لأنا لا نتكاثر ولا نتفاخر. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تتباغضون ولا تتحاسدون؟ قال: قد ألَّف الله بين قلوبنا. قال: فما بالكم ليس فيكم فظٌّ ولا غليظ؟ قال: تواضعنا لله فنزع الحسد والفظاظةَ منا. قال: فما بالكم أطول الناس أعماراً؟ قال: لأنا نعطي الحق ونحكم بالعدل. قال: فما بالكم لا تضحكون؟ قال: لا نغفل عمن لا يغفل عنا. قال: فما هذه الجماجم التي بين يديك؟ فبكى وقال: جماجم ملوك ملكوا هذه الأرض، أمَّا هذه الجمجمة فجمجمة ملكٍ مَلَكَ هذه الأرض مئة عام فعتا وبغى وتجبَّر وتكبَّر وظلم، فلمَّا رأى الله منه ذلك حسمه بالموت، فصار كالحجر الملقى قد أحصى عليه عمله حتى يجازيه به في معاده. ثم أشار إلى جمجمة أخرى وقال: هذه جمجمة مَلكٍ مَلكَ هذه الأرض مئة عام فعدل وأحسن وتواضع، ثم جاءه الموت فصيَّره إلى ما ترى. ثم مدَّ يده إلى جمجمة ذي القرنين وقال: وهذه الجمجمة تصير إلى ما صارت إليه هذه الجماجم، فانظر يا عبد الله، ما أنت صانع. فبكى ذو القرنين وقال: يا أخي، هل لك أن تصحبني فأتخذك وزيراً وأشركك في ملكي؟ قال: هيهات هيهات، فقال: ولم؟ قال: لأنَّ الناس كلهم لي صديق، وهم لك عدوٌّ. قال: ولم؟ قال: لرفضي الدنيا وليس في يدي منها ما أُعادَى عليه، وهي في يدك فيعادونك لأجلها. فقال: إن رأيت أن تمنَّ عليَّ بصحبتك فافعل، فقال: على شريطة، قال: وما هي؟ قال: تضمن لي شباباً لا هرم فيه، وصحة لا سقم فيها، وحياة لا موت معها. قال: لا أستطيع ذلك، قال: فاذهب عني ودعني

بين يدي مَن يقدر على ذلك. فانصرف عنه ذو القرنين باكياً[١].

ذكر واقعة جرت له مع أمِّه

حكى السدِّي عن أشياخه قال: كانت أمُّ الإسكندر عاقلة فاضلة حازمة، واسمها روفية ـ وقيل: روقية بالقاف ـ فلما فتح ولدها الدنيا ودانت له الملوك كتبت إليه: من روفية أمِّ الإسكندر الضعيف الذي بقوَّة ربِّه الأعظم قوي، وبقدرته قهر، وبعزَّته استعلى، يا بنيَّ، لا تدع للعجب فيك مساغاً، فإن ذلك يؤذيك، ولا للعظمة والكبرياء فيك مطمعاً فإن ذلك يضعك، وذلِّل نفسك للذي رفعك، واعلم أنك عن قليل محوَّل عمَّا أنت فيه كما تَحَوَّلَ من غيرك إليك، وإيَّاك والشُّحَّ فإنه يرديك، وعليك بنور العدل فإنه يهديك، وانظر ما جمعت من الأموال وكنزت من الكنوز فعجِّلْ حمله كله إليَّ على فرس مع رجل، وإيَّاك والعقوق المحرمة عليك، والسَّلام.

فلمَّا قرأ كتابها جمع أرباب دولته وعظماء مملكته وحكماء حضرته، وقرأ عليهم كتابها وقال: سمعاً وطاعة، فإنَّ طاعة الوالدة مفترضة، والسَّمع والطَّاعة للربِّ الأعظم ولها، ثم قال: كيف أحمل إليها أموالي وكنوزي على فرس؟ فاستعظموا ذلك فقال: إنَّما طلبت أسماء الكنوز وعددها، فكتب أساميها وبعث بها إليها مع رجل على فرس، فلمَّا قرأت كتابه فرحت حيث فهم قصدها[٢]. قال وهب: فإنَّ ذلك الكتاب عندهم مكتوب في خزائن الروم، فيه أسامي كنوزه وأمواله.

فصل في ذكر ما بنى من المدائن

قد ذكرنا أنه بنى الإسكندرية وهَرَاة وسمرقند ومرو وهَمَذَان وبرج الحجارة والدَّبُوسِيَة. وقد روي في مرو حديث، قال أحمد بن حنبل: حدَّثنا الحسن بن يحيى من أهل مرو بإسناده عن سهل بن عبد الله بن بُريدةَ عن أبيه عن جدِّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكونُ بَعدِي بعوثٌ كثيرةٌ، فكونُوا في بَعثِ خُراسانَ، ثم انزِلُوا مدينةَ

(١) انظر «المنتظم» ١/ ٢٩٨ـ٢٩٩.

(٢) انظر «المنتظم» ١/ ٢٩٣.

مَرو، فإنَّه بناها ذو القَرنَين ودَعا لها بالبَركةِ وأن لا يَضُرَّ أهلَها سُوءٌ»[١].

وقال الكلبي: أوَّلَ من عمِل جسراً على جَيحون الإسكندر، لأنه لما عاد من الظلمات قصد خراسان فوصل إلى نهر بَلخ، فلم يقدر على العبور عليه، فأمر بشق الخشب الغلاظ وترقيقها، وأمر الحدادين فضربوا المسامير، وعمل السفن الكبار، وقيل: كانت خمس مئة سفينة، ثم أمر الحبالين ففتلوا الغلاظ من الليف والقنب، وعمل الجسر في أضيق مكان، ووضع عليه السلاسل وألقى على السفن التراب والحشيش، وأقام أياماً حتى عبر عسكره من الجانب الشرقي إلى الغربي، ودخل خراسان، و لم يخرج من المشرق حتى هدم بيوت النيران ودعا إلى التوحيد والإيمان، وجاهد الكفار وجمع الأموال ليقوي بها الجيوش على الجهاد، لا حرصاً على الدنيا. قال ابن عباس: ولو لم يكن له إلا بناء السد الذي حفظ به المسلمين، وحماهم به من يأجوج ومأجوج.

وقال السدِّيُّ: لما رجع من المشرق قصد بلاد الروم، فدفن بها الأموال وكنز الكنوز، وكان يكتب على كل كنز طلسماً ويذكر عدد ما فيه.

فصل في وفاته

قال علماء السير: لما علم ذو القرنين أنَّ عين الحياة قد فاتته وحظي بها الخضر اغتم غمّاً شديداً فقال له الحسَّاب: لابأس عليك، فإنك تعمِّر طويلاً ثم تموت على أرض من حديد، وفوقك سماء من خشب. فلمَّا عاد من الروم قصد أرض بابل، فبينما هو يسير على دابته إذ رعف فسقط عن فرسه، فبسط له درع من حديد، وكانت صفائح صفائح فنام على الدرع، فآذته الشمس فجاؤوا بترس فأظلوه به، فنظر فإذا تحته حديد وفوقه خشب، فأيقن بالموت فأمر أن يُكتَبَ إلى أمِّه كتاب تعزية عن نفسه[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠١٨)، وهو حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ كما قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ١/ ٣٠٨ـ٣٠٩.

(٢) انظر «المنتظم» ١/ ٣٠٠.

ذكر الكتاب

أنبأنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكندي رحمه الله بإسناده عن عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدُّنيا القرشي من كتاب «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان»، قال: حدَّثني أبو يوسف يعقوب بن عبيد بإسناده إلى عبد الله بن زياد المدني عن بعض من قرأ الكتب: أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها بلغ أرض بابل، فمرض بها مرضاً شديداً أشفق من مرضه أن يموت، بعدما دَوَّخَ البلاد وحواها، واستعبد الرجال وجمع الأموال، فدعا كاتبه وقال له: خفِّفْ عليَّ المؤنة بكتاب تكتبه إلى أمي تعزِّيها بي، واستعنْ ببعض علماء فارس،ثم اقرأه عليَّ، فكتب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، من الإسكندر بن قيصر رفيق أهل الأرض بجسده قليلاً، ورفيق أهل السماء بروحه طويلاً، إلى أمه روفية ذات الصفا التي لم تتمتع بثمرتها في دار القرب، وهي مجاورته في دار البُعد عما قليل، يا أمتاه، يا ذات الحلم، أسألك برحمي وودِّي وولادتك إيَّاي هل وجدت لشيء قراراً ثابتاً أو خيالاً دائماً؟ ألم تَرَيْ إلى الشجرة كيف تنضر أغصانها ويَخرج ثمرها وتلتف أوراقها، ثم لا يلبث الغصن أن يتهشَّم والثمرة أن تتساقط والورق أن يتناثر؟! ألم تَرَيْ إلى النبت الأزهر يصبح نضيراً ويمسي هشيماً؟ ألم تَريْ إلى النهار المضيء كيف يخلفه الليل المظلم؟ ألم تريْ إلى القمر الباهر ليلةَ بدره كيف يغشاه الكسوف؟ ألم تري إلى شهب النَّار الموقدة ما أسرع ما تخمد؟ ألم تري إلى عذب المياه الصافية ما أسرعها إلى البحور المغيرة؟ ألم تري إلى هذا الخلق قد امتلأت بهم الآفاق واستقلَّت به الأشياء وولهت به الأبصار والقلوب؟ إنَّما هما شيئان: إمَّا مولود وإمَّا ميِّت، وكلاهما مقرون به الفناء. ألم تري أنه قيل لهذه الدار: روحي بأهلك فإنك لستِ لهم بدار، يا والدةَ الموت، ويا مورثَةَ الأحزان، ويا مفرِّقة بين الأحباب، ويا مخربة العمران؟ ألم تري أنَّ كل مخلوق يجري على ما لا يدري؟ وأنَّ كلَّ واحد مستيقن منهم غير راض بما هو فيه، وذلك لأنه منزل لغير قرار؟يا أمَّاه، هل رأيت معطياً لا يأخذ، ومقرضاً لا يتقاضى، ومستودعاً لا يستردُّ وديعته؟ يا أمَّاه، إن كان أحد حقيقاً بالبكاء فلتبكِ السماوات على نجومها، والحيتان على بحورها، أو البحور على مائها، وليبك الجوُّ على طائره، والأرض على أولادها، والنبت الذي يخرج منها،

وليبك الإنسان على نفسه التي تموت في كل ساعة وعند كل طرفة عين. يا أمَّاه، إن الموت لا يدعني من أجل أني كنت عارفاً أنه نازل بي، فلا يتعبْكِ الحزنُ فإنك لم تكوني جاهلة بأني من الذين يموتون. يا أمتاه، إني كتبت كتابي هذا وأنا أرجو أن تعزَّي به ويحسن موقعه منك، ولا تخلفي ظني يا أمتاه، إني قد علمتُ يقيناً أن الذي أذهبُ إليه خير من مكاني الذي أنا فيه، أطهر من الهموم والأحزان والسقم والنصب والأمراض فاغتبطي بمذهبي واستعدِّي في إجمال الثناء عني. إن ذكري من الدنيا قد انقطع بما كنت أُذْكَرُ به من الملك والرأي فاجعلي لي من بعدي ذكراً أذكَرُ به في حلمك وصبرك وطاعة الله والرضى بما يقول الحكماء. يا أمتاه، إنَّ الناس سينظرون إلى هذا منك، وهم بين راض وكاره ومستمع وقائل، فأحسني إليَّ وإلى نفسك في ذلك. يا أمتاه، السلام في هذه الدار قليل زائل فليكن عليك وعليَّ في دار الأبد السلام الدائم. وذكر ألفاظاً اختصرتها[1].

وفي رواية ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن لهيعة قال: لما حضرت الإسكندرَ الوفاة كتب إلى أمِّه: يا أمَّاه، اصنعي طعاماً واجمعي من قدرتِ عليه من نساء المملكة، ولا تأكل منه امرأة أصيبت بمصيبة. فلمَّا قرأت كتابه صنعت طعاماً عظيماً، وجمعت نساء المملكة، وقالت: لا يأكلْ من طعامي من أصيبت بمصيبة، فامتنعن من الأكل، فقالت: أكلكن ثكالى؟ قلن: نعم، والله ما فينا إلَّا من مات أبوها أو أخوها أو ابنها، ففطنت وقالت: إنا لله، هلك والله ولدي، وما كتب إلي بهذا إلا تعزيةً لي[2].

واختلفوا في أي مكان توفي على أقوال:

أحدها: بدومة الجندل.

والثاني: بشهرزور لما عاد من المشرق.

والثالث: بأرض بابل.

وكان قد تزهد وترك الدنيا وهو الأصح، والذي مات بشهرزور الإسكندر الثاني لما نذكر.

---

(١) «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» (٦٦)، وأخرجه ابن الجوزي في المنتظم ١/ ٣٠٠.

(٢) «الاعتبار» (٦٨)، وذكره ابن الجوزي في المنتظم ١/ ٣٠٢.

ولما مات ببابل جعل في تابوت وطُلِيَ بالصبر والكافور، وحُمِلَ إلى الإسكندرية، قال ابن أبي الدنيا بإسناده عن محمد بن سليمان الكلبي قال: لما مات الإسكندر خرجت أمُّه في أحسن زيٍّ نساء أهل الإسكندرية حتى وقفت على تابوته[١] فقالت: واعجباً ممن بلغت السماء حكمته، وأقطارَ الأرض سلطانه، ودانت الملوك عنوة له، أصبح اليوم نائماً لا يستيقظ وصامتاً لا يتكلَّم، محمولاً على يدي من لا يناله بِضُرِّهِ، ألا هل مبلِّغ عني الإسكندر بأنه وعظني فاتعظت، وعزَّاني فتعزَّيت، وصبَّرني فصبرت، ولولا أني لاحقة به ما فعلت، فعليك السَّلام يا بنيَّ، حيّاً وهالكاً، فنعم البُنَي كنت، ونعم الهالك أنت.

وفي رواية: ولولا علمي بأني لاحقتك لما صبرتُ، يا إسكندر، عليك السلام.

ثم أمرت به فدفن.

واختلفوا في سنِّه: فذكر جدِّي رحمه الله في كتاب «أعمار الأعيان» أنه عاش ألفاً وست مئة سنة قال: وأهل الكتاب يقولون: عاش ثلاثة آلاف سنة[٢].

قلت: ولا يستبعد ذلك، فقد عاش عُوج بن عناق ثلاثة آلاف وست مئة سنة، حكاه جدي في «أعمار الأعيان» عن محمد بن إسحاق[٣]، وسنذكره في سيرة موسى عليه السلام.

قال ابن إسحاق: ولد في دار آدم عليه السلام.

وقال مجاهد: عاش الإسكندر ألف سنة مثل آدم، والله أعلم.

فصل في ذكر كلام الحكماء على تابوته

قال ابن أبي الدنيا بالإسناد الماضي عن المبارك بن فضَالة عن الحسن، قال: كان الإسكندر أول من خَزَّن الأموال تحت الأرض، فلمَّا حضرته الوفاة دعا ابنه الأكبر، وكان ولي عهده، فقال له: يا بني، إني أراني لما بي، فإذا أنا مت فابعث إلى حُذَّاق

(١) في (ل): «ناموسه». والمثبت من (ب)، وانظر «الاعتبار» (٦٧).

(٢) «أعمار الأعيان» ص ١٢٨.

(٣) «أعمار الأعيان» ص ١٣٠.

الصاغة فأدخلهم الخزائن فلينتقوا جيِّد هذا الذهب على أعينهم، ثم ليصوغوا تابوتاً، ثم أدخلني فيه، ثم ضعني في وسط قصري، وابعث إلى أهل مملكتك وإلى العلماء منهم فليتكلم كلُّ واحد منهم بما يعلم.

فلمَّا هلك الإسكندر فعل ابنه ما أمره به أبوه، وبعث إلى العلماء، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فأقبلوا حتى أطافوا بالتابوت، كأنهم علموا ما يُراد منهم. فقال لهم ابنه: قوموا فتكلَّموا بما تعلمون. فقام الأول فقال وقد وضع يده على التابوت: سلك الإسكندر طريق مَن قُبِر، وفي موته عبرة لمن بقي. ثم قام الثاني فقال: هلك الإسكندر ومن يملك من بعده يهلك كما هلك. ثم قام الثالث وقال: خلَّفَ الإسكندر ملكه لغيره يحكم فيه بغير حكمه. ثم قام الرابع فقال: تفرَّقنا لموتك وقد فارقَ الإسكندر من كان به يغتبط. ثم قام الخامس فقال: أصبح الإسكندر مشتغلاً بما عاين وهو بالأعمال يوم الجزاء أشغل. ثم قام السادس وقال: إسكندر كان يُخزِّنُ الذهب في الخزائن فأصبح مخزوناً في الذهب. ثم قام السابع فقال: من كان يرجو روح الآخرة فليعمل عملاً يُقبلُ منه ويُرفع. ثم قام الثامن فقال: إسكندر صرت حديثاً وأنا مثلك وشيكاً. ثم قام التاسع فقال: إسكندر وردتَ يوم وردت ناطقاً وصدرتَ يوم صدرت صامتاً. وقام العاشر فقال: خَضَعَتِ الآفاق لموتك وفيك عبرةٌ لمن أبصر. ثم قام الحادي عشر فقال: أرى مصيبتك بعد نعمة وكلُّنا ينزل به ما نزل بك. ثم قام الثاني عشر فقال: هذا آخر عهدنا بك، مُنِعتَ جواب من يخاطبك. ثم قام الثالث عشر فقال: السَّلام على من رضي دار السلام وأُدخِلَ في دار السلام[1].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني عون بن إبراهيم بإسناده إلى زهير بن عبَّاد أنه قال: لما حضرتْ ذا القرنين الوفاةُ كفَّنوه ثم وضعوه في تابوت من ذهب، فقالت الحكماء: تعالَوا حتى نتكلمَ عليه ونعتبر، فقال أولهم: إن هذا الشَّخص كان لكم واعظاً ولم يعظكم بأبلغ من مصرعه هذا. وقال الثاني: إنَّ الإسكندر لما فارق الأنجاس صارت روحه إلى روح الطاهرين فيا طوبى له. وقال الثالث: من كانت حياته لله فإنَّ وفاتَه لله،

(١) «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» (٦٩).

وعلى الله تمام كرامته. وقال الرابع: هذا الذي سار إلى مشارق الأرض ومغاربها يقتل الرِّجال مخافة الموت ولو تركهم لماتوا. وقال الخامس: هذا الذي كان يخبأ الذهب فالذهب اليوم يخبأه. وقال السادس: ويل لأهل العافية في هذه الدَّار إن كان حظهم منها إلى غير العافية. وقال السابع: لا تكثروا التلاوُمَ بينكم واستمسكوا بالتوبة فكلكم خاطىء. وقال الثامن: من كان يعمل اليوم بالخطيئة فإنه غداً عبد الخطيئة. وقال التاسع: لا تعجبوا مما تفعلون ولكن اعجبوا مما يُفعل بكم[1].

قال ابن أبي الدنيا: وزاد غير زهير بن عباد: وقال آخر: عجبت من سالِك هذا السبيل كيف تَشرَهُ نفسه إلى جمع الحطام الهامد والهشيم البائد، الخاذل مُقتنيه عند الحاجة إليه. وقال آخر: اقبلوا هذه المواعظ وأكثروا ذِكرَ هذا السبيل الذي أنتم سالكوه. وقال آخر: هذا ذو الأسارى قد أصبح أسيراً. وقال آخر: كان الإسكندر كحُلم نائمٍ انقضَى أو كظِلٍّ غَمامةٍ انجلى. وقال آخر: لئن كنت أمس لا يأمنك أحد لقد أصبحتَ اليوم لا يخافُكَ أحد. وقال آخر: هذه الدنيا الطويلة العريضة طويت في ذراعين. وقال آخر: لئن كنت وردتَ علينا قويًّا ناطقاً لقد صَدَرتَ عنَّا ضعيفاً صامتاً. وقال آخر: ما سافر الإسكندر قبل هذه السفرة بلا زاد ولا أعوان. وقال آخر: كلنا غافل عما غفل عنه الإسكندر حتى نلاقي مثل ما لاقى. وقال آخر: إن من العجب أنَّ القوي قد غُلِبَ، وأنَّ الضعفاء لاهون مغترون. وقال آخر: إن بارق هذا الموتِ لبارقٌ ما يخلف، وإن مخيلته لا تخلف. وقال آخر: انطوت عن الإسكندر آماله التي كانت تغرُّهُ ونزل به أجله الحائل بينه وبين أمله. وقال آخر: يا ويحَ الموت الذي لا يُشتهى ما أقهَرَهُ للحياة التي لا تُمَلُّ، ويا ويحَ الحياة التي لا تُمَلُّ ما أذلَّها للموت الذي لا يُحَب. وقال آخر: قد كان صوتك مرهوباً وملكك عالياً، فأصبح الصوتُ قد خَفَتَ وانقطعَ، والمُلك قد اتضع. وقال آخر: لقد انتقصك في وجهك من لم يتجاسرْ أنه يغتابك من خلفك.

قلت: وقد جاء عن الإسكندر الثاني من هذا الجنس، وسنذكره في سيرته، إن شاء الله تعالى.

---

(١) «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» (٧٠).